الله معنا ومن دوننا

الحتميَّة والجمال والقوَّة
للوحدانيَّة بثالوث
مقابل الوحدانيَّة المُطلَقة

د. عماد شحاده

تمهيد

التشوُّق إلى الثالوث

نداءُ هذا الكتاب

إنَّ هذا الكتاب هو نداءٌ للانضمام إلى **رحلة تأمُّل واكتشاف لطبيعة الله الحقيقيَّة**، وسط أصوات كثيرة غير صحيحة عنه.

ومع أنَّ هناك كُتبًا كثيرة أُلِّفَتْ وبحوثًا عدَّة كُتِبت حول الثالوث، فإنَّ **أحد الأمور التي يُسهم بها هذا الكتاب هو إظهار الفرق الذي تُحدثُه عقيدة الوحدانيَّة بثالوث** بالتباين مع المُعتقدات التي ترفض الثالوث. وفي الواقع يواجه الكثيرون صعوبة في فَهْم عقيدة الوحدانيَّة بثالوث، الأمر الذي يقودهم نحو الخيار المُعاكس وما يبدو الأسهل فهمًا، أي الوحدانيَّة المُطلقة. ونتيجة لذلك، **يهجرُ الكثير من المسيحيِّين عقيدة الثالوث، أو يتجاهلونها، دون إدراك النتائج المترتِّبة على ذلك.**

ويتبنَّى مفهومَ الوحدانيَّة المُطلقة أديانٌ عدَّة، وهو أيضًا استنتاجُ علم الفلسفة. أمَّا مفهوم الوحدانيَّة بثالوث فهو معتقدُ الإيمان المسيحيِّ بحسب تعليم الكتاب المقدَّس. ومن هذا المنطلَق، تسعى هذه الدراسة إلى كَشْف ما يختبره الإنسان من مخاطِرَ وبركاتٍ ناتجةٍ عن طبيعةِ مفهومه عن الله. وربَّما يكون أيُّ إنسان، من أيِّ دين أو معتقد كان، غارقًا في مبادئ الوحدانيَّة المُطلقة سواء علمَ ذلك أم لم يعلم، أو قد تكون حياتُه مبنيَّةً على مبادئ الوحدانيَّة بثالوث، سواء علمَ ذلك أم لم يعلم.

يعرضُ هذا الكتاب أيضًا **تقدُّم الفكر اللاهوتيِّ** المسيحيِّ في الغرب والشرق، كما **يقدِّم تعبيراتٍ وتوضيحاتٍ جديدة بواسطة دراسة مقاطعَ خاصَّةٍ من الكتاب المقدَّس**

من لغاته الأصليَّة، العبريَّة والأراميَّة واليونانيَّة. في هذا الإنتاج الصادر باللغتَين العربيَّة والإنجليزيَّة، يجري توضيح حتميَّة الثالوث بواسطة الكشف عن الصراع الذي واجهته الوحدانيَّة المُطلقة تاريخيًّا. ويقدِّم الكتاب الوحدانيَّة بثالوث بوصفها حلًّا لهذا الصراع، علاوةً على انسجام عقيدة الثالوث مع المنطق. ثمَّ يكشف الكتاب عن جمال الثالوث في أنَّ تجلِّي صفات الله الواحد والوحيد داخل الخليقة (الله معنا) ينبع من العلاقات السرمديَّة العاملة بين الآب والابن والروح القدس خارج الخليقة (من دوننا). كما يوضِّح الكتاب وصول تجلِّي الثالوث إلى ذروته في تواضع الله بمجيئه إلينا بجسد. ويبلغ الكتاب قمَّة فائدته في الكشف عن القوَّة المغيِّرة للثالوث عند تطبيقه على الحياة.

أسلوب الاستفادة من هذا الكتاب

يمكن قراءة هذا الكتاب **بالتسلسل** من بدايته إلى نهايته. كما يمكن دراسة **موضوع محدَّد أو مقطع** كتابيٍّ باستخدام **أربعة أنواع من الفهارس**: أوَّلًا، فهرس مُفصَّل لكلِّ فصلٍ من الكتاب؛ ثانيًا، فهرس الأسئلة الشائعة؛ ثالثًا، فهرس النصوص المدروسة؛ رابعًا، فهرس الجداول والرسوم.

وللفائدة ومراعاةً للفئات المختلفة من القرَّاء، وُضعَتْ **أهمُّ المعلومات الأكاديميَّة المُفصَّلة في الحواشي** أسفل الصفحة. وتشمل الحواشي توضيحًا للعبارات من اللغات الأصليَّة للكتاب المقدَّس، كما تضمُّ أحيانًا دراساتٍ تاريخيَّةً ولاهوتيَّةً خاصَّة. وقد جرت الإشارة إلى التعابير المهمَّة الرئيسيَّة **بالخطِّ الغامق**، والتعابير المهمَّة لنصوص الكتاب المقدَّس **بخطٍّ تحت الكلمات**، كما جرت الإشارةُ إلى الخلاصات المهمَّة باستخدام **الألوان للفقرات، الصناديق على شكل رايات**.

جرى اعتماد **ترجمة البستاني-فان دايك** للكتاب المقدَّس، ما لم يُذكر غير ذلك. أمَّا المعلومات داخل **الأقواس المربَّعة** [...]، فتشير إلى اقتراحاتٍ بديلةٍ أو توضيحاتٍ ضروريَّة.

وجدير بالذِّكر أنَّ **الترجمةَ لمصادر غير عربيَّة** هي ترجمةٌ شخصيَّة، ما لم يُذكَر غير ذلك. أمَّا الكلمات والجمل **باللغات الأصليَّة** للكتاب المقدَّس (العبريَّة والأراميَّة واليونانيَّة) **واللغات الأخرى** (الإنكليزيَّة والسريانيَّة)، فهي تُدوَّن في الحواشي وليس في متن النصّ. كما تُدوَّن مع الترجمة الصوتيَّة (أو المنَقْحَرة).

الرجاءُ أخيرًا أن يقودَ هذا الكتابُ القارئَ في رحلةِ اكتشافٍ أعمقَ للحقِّ عن الله بهدف التقرُّب نحوه بطريقةٍ لم يعرفْها القارئُ من قبلُ.

عماد نقولا شحاده

الفصل الأوَّل

الاستعداد لقبول إعلان الله عن نفسه

مقدِّمة

يجد كثيرون صعوبةً في فَهْم عقيدة الثالوث، ويكمن السبب وراء ذلك في وجود **افتراضاتٍ فكريَّة خاطئة** ناتجةٍ عن تراكُماتٍ على مرِّ مدَّةٍ زمنيَّة. زدْ على ذلك الوجودَ المستمرَّ وسط نظام اجتماعيٍّ ودينيٍّ يرفض أيَّ مفاهيم عن الله قد تضعُ الأساسَ لعقيدة الثالوث. لكنَّ تقصيرَ الإنسان لا يكمن في الفشل في فهم عقيدة الثالوث، بقدر ما هو في **الفشل في الاستعداد لقبول إعلان الله عن نفسه**. يهدفُ هذا الفصل إلى مدِّ يد المساعَدة إلى الباحث المخلِص حتَّى يتحرَّرَ من أيِّ عوائقَ تحول دون اكتشاف حقائق أعظم عن طبيعة الله.

وفي سياق متَّصل، هناك عناصر عدَّة تساعدُ على الاستعداد لقبول إعلان الله عن نفسه، والعناصر المُقترحة هنا متداخلة بعضها ببعض، كما أنَّها ليست بالضرورة مرتَّبة بحسب الأهمِّيَّة.

أوَّلًا، ينبوعُ كلِّ فكر عن الله هو الكتاب المقدَّس

إنَّ كلَّ فكر يُعلَّم في هذا الكتاب عن الله مبنيٌّ على ما جاء في الكتاب المقدَّس، بإيمان بأنَّه، بأسفاره الستَّة والستِّين، وبعهدَيه القديم والجديد، هو **موحى به من الله**، بمعنى: "تكلَّم أناس الله القدِّيسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط ١: ٢١)، حتَّى إنَّ كلمات الكتاب المقدَّس مُوحى بها لفظيًّا. ويمتدُّ هذا الوحي الإلهيُّ **بالتساوي والتمام في كلِّ أجزاء الكتاب المقدَّس** سواء كانت تاريخًا أم شعرًا أم تعليمًا أم نبوَّة.

إنَّ الأدلَّة على وحي الكتاب المقدَّس كافيةٌ لتُعطيَ الإنسان الأمين الأساس ليثقَ بالكتاب المقدَّس **تاريخيًّا وثقافيًّا وأخلاقيًّا ولاهوتيًّا وشخصيًّا**. وليس هناك أيُّ كتابٍ يجمع هذه المزايا جميعَها كما يجمعُها الكتاب المقدَّس؛ فهو يقف كصخرة غير متزعزعة، تفصلُ بينه وبين أيَّة كتابات دينيَّة أخرى هوَّةٌ سحيقةٌ فصلًا كاملًا. ورغم أنَّه ليس من اختصاص هذه الدراسة تناوُلُ هذه الأدلَّة،[١] فينبغي التشديد على أنَّ للإيمان بوحي الكتاب المقدَّس **مضامين عدَّة متعلِّقة بهذه الدراسة.**

الصدق

يعني الإيمان بوحي الكتاب المقدَّس أنَّ الكتاب المقدَّس صادقٌ بكلِّ ما يُقرُّ به، لذا فهو معصوم من الخطأ في المخطوطات الأصليَّة. ورغمَ أنَّ **المخطوطات** الأصليَّة غير موجودة اليوم، فإنَّ **النصَّ** الأصليَّ موجود بنسخ عدَّة للأصل. وتسمو هذه النسخ عن كلِّ النصوص الكلاسيكيَّة القديمة في عددها، وفي قِصر المدَّة الزمنيَّة ما بين تاريخ الكتابة وأقدم مخطوطاتٍ عُثِرَ عليها. وهكذا جرى **نَقْل المخطوطات الأصليَّة بأمانة** حتَّى هذا اليوم بسموٍّ وتفرُّدٍ في الدقَّة والمصداقيَّة لتكوِّنَ معًا الكتاب المقدَّس، وهو كلمة الله المكتوبة الكاملة. فإنْ كان الكتاب المقدَّس يخطئ، فيعني هذا أنَّ الله يخطئ، أو أنَّ الكتاب المقدَّس ليس كلمة الله. لكنَّ الله صادقٌ (عد ٢٣: ١٩؛ تي ١: ٢؛ عب ٦: ١٨)، والكتاب المقدَّس هو كلمته (٢تيم ٣: ١٦-١٧). لذلك فإنَّ **كلَّ المعلومات في هذه الدراسة عن الله تخضع للكتاب المقدَّس.**

السُّلطة

يعني الإيمان بوحي الكتاب المقدَّس أنَّ للكتاب المقدَّس **السُّلطة العُليا والأخيرة في كلِّ ما يتعلَّق بالإيمان والسلوك**؛ فهو صاحب القَول الفصل للتحقُّق من كلِّ ما يتعلَّق بالحياة والتعليم. فحتَّى يتمتَّع الإنسانُ بالفَهْم الصحيح عن الله، على العقل البشريِّ أنْ يخضعَ للإعلان الإلهيّ.

---

[١] لمزيد من المعلومات، انظر مجلَّد عماد شحاده "الثقة في الكتاب المقدَّس: وحيه وقدسيَّته وتجميعه وتناقله وتفسيره،" محاضرات غير منشورة لمؤسَّسة الدراسات اللاهوتيَّة، عمَّان، الأردن.

Cf. Norman L. Geisler and William E. Nix, *A General Introduction to the Bible,* 191-200; Josh McDowell, *Evidence that Demands a Verdict,* 15-79; Timothy Keller, *Reason for God,* 167-192.

التدرُّج في الإعلان

يعني الإيمان بوحي الكتاب المقدَّس أنَّ الحقائق عن الله أتت بصورةٍ متدرِّجة. أي أنَّ إعلان الله عن نفسه في الكتاب المقدَّس كان **ينمو ويتطوَّر بمرور الزمن** بينما أوحى الله بكلمته بواسطة أنبيائه ورُسُله. فما أعلنه بصورة مختصرة ومحدودة في زمن ما، كان يكبُر ويزداد وضوحًا وتوسُّعًا وتفسيرًا.

الاكتشاف المستمرّ

يعني الإيمان بوحي الكتاب المقدَّس أنَّ الكتاب المقدَّس **يحتوي على كنوز دفينة عن الله تنتظر اكتشافها**. فالتكريس لوحي الكتاب المقدَّس وعصمته وسلطته يعطي الباحث امتيازَ اكتشافِ هذه الكنوز. فكما أنَّ الأجهزة الحديثة، كالتلفزيون والهواتف النقَّالة والطائرات وغيرها لم تكن موجودة زمنَ آدم، لكنَّ كلَّ مكوِّناتها كانت موجودة في طبقات الأرض تنتظر الاكتشاف. وكذلك هي الحال مع معرفة الله بعمقٍ جديدٍ؛ إذ يمكن إيجادها في طيَّات الكتاب المقدَّس! لكنْ في أيِّ اكتشافٍ جديدٍ للحقّ، يبقى ما اكتُشفَ مسبَّقًا عن الحقِّ كما هو، ويكون الاكتشاف الجديد هو **عمقٌ جديدٌ أو تعبيرٌ جديد عن الحقِّ نفسه**. ويمكث الانسجام التامُّ مع كلِّ حقٍّ سبقَ إعلانه في الكتاب المقدَّس.

الانسجام التامّ

إنَّ صِدقَ الكتاب المقدَّس وسلطته يعني أنَّه منسجم ومتناغم كلِّيًّا في كلِّ ما يُصرِّح به. فالكتاب المقدَّس يفسِّر نفسه؛ لأنَّ كاتبَه الأخير واحد: الله نفسه. فيمكن توضيح أيِّ نصٍّ من الكتاب المقدَّس بالاستعانة بنصٍّ آخر فيه أيضًا، أي أنَّ الكتاب المقدَّس هو **أفضل تفسير لنفسه**.

إعادة البرهان إلى العقيدة

يعتمد كثيرون اعتمادًا زائدًا على الاستنتاجات اللاهوتيَّة والفلسفيَّة السابقة للعقائد المسيحيَّة دون **التحقُّق من وجودِ أساسٍ لها في الكتاب المقدَّس**. فهناك حاجةٌ ماسَّة إلى التحقُّق من دقَّة التصريحات العقائديَّة بهدف التعبير عنها بأساليبَ جديدةٍ نابعةٍ من

إعادة فحص نصوص الكتاب المقدَّس. فيجب عدم عزل اللاهوت النظاميِّ عن حاجته إلى العودة المستمرَّة إلى الكتاب المقدَّس.[٢]

معيَّة الروح القدس

يعني الإيمان بوحي الكتاب المقدَّس أنَّه الكتاب الوحيد الذي يرافقه الروح القدس. فهو يعمل لأجل تمجيد المسيح، وإعطاء البصيرة الأعمق للحقّ، والمعرفة الأكبر للربّ، والنموِّ المتزايد في اليقين، فيعلن المسيح،

> ١٣وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. ١٥كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ (يو ١٦: ١٣-١٥).

وبالأسلوب نفسه، يشدِّد الرسول بولس على أنَّ الروح القدس يعمل في قلب المؤمن حتَّى ينمو في معرفة الله:

> ١٧يُعْطِيكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، ١٨مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ (أف ١: ١٧-١٨أ).

وفي الوقت نفسه، يُقنع الروح القدس المؤمنين ببنوَّتهم، ويصرخ معهم بالصلاة، ويقودهم، ويحرِّرهم من الخوف، ويشهد لقلوبهم أنَّهم أبناء الله:

---

[2] Arguing against the dangers of consensus, Stephen Lewis writes, "No one should discount the role of history in helping us understand how the earliest interpreters understood the Scriptures. Yet believers today must renew their commitment to the Scripture itself. The real issue must not be whether a doctrine is affirmed by every Christian everywhere, nor whether it is officially orthodox according to the historical creeds, nor whether it is unofficially orthodox according to the fashions of contemporary Christian thought... The only real issue is whether a doctrine or belief is BIBLICAL. There is no more sound approach to the formation of our beliefs. It is time we rescued Christian theology from the theologians and put it back in the hands of biblical exegetes and biblical theologians" (Stephen R. Lewis, "Greek Philosophy Tainted Early Church Theology, What about Today?" Rocky Mountain Bible College and Seminary, unpublished article). D. A. Carson expresses the same sentiment: "I have been thinking through the hiatus between careful exegesis and doctrinal formulations. We need both, of course, but unless the latter are finally controlled by the former, and seen to be controlled by the former, both are weakened. The 'Son of God' theme has become one of several test cases in my own mind" (D. A. Carson, *Jesus the Son of God: A Christological Title Often Overlooked, Sometimes Misunderstood, and Currently Disputed*, Kindle locations, 68-70).